



إشكالية الأدب الرقمي – قراءة في الوسائط التواصلية –

د/ طارق زيناي

*المركز الجامعي *مilla*

المشخص:

أصبح من نافلة القول إنَّ التكنولوجيا والتقنية، قد صمنت لها مكانة مرموقة في الواقع العلمي المعاصر، حيث امتد تأثير وسائلهما إلى كل مجالات الحياة اليومية، فأصبح إنسان القرن الواحد والعشرين كائناً رقمياً لا يستطيع أن يتنفس خارج هذا الفضاء الافتراضي، ولعل أبرز تجلياتهما في المعطى الإبداعي؛ هو ظهور ما يسمى بالأدب الرقمي في مختلف أجناسه وتمظهراته، الذي أصبح بديلاً تقنياً مفروضاً، تم استيعابه وبناء تصورات ومفاهيم عديدة، تتقاطع مع مجالات علمية ومعرفية لا حصر لها، كانت فيما مضى تتحضر في الفضاء الواقعي (الملموس)، فأصبحنا نسمع عن النقد الرقمي والثقافة الرقمية والوجهات (المؤثرات) الرقمية وغيرها... من هذا المنطلق جاءت رغبتنا في محاولة مقاربة الأدب الرقمي باعتباره قضية إشكالية مفروضة، عندما يتم تناولها في مقابل الأدب التقليدي (الورقي)، وستركز الدراسة على الوسائط التواصلية المختلفة التي تدخل في عملية إنتاج الأدب الرقمي؛ كالوسيط اللغوي، والطبيعي، والصوتي، والإعلامي، ودور كل واحد منها في التشكيل الميديوليوجي للأدب الرقمي.

الكلمات المفتاحية : الأدب الرقمي؛ الوسائط؛ التواصل؛ التفاعل؛ الطبيعي؛
السمعي؛ البصري؛ الصوتي؛ الإعلامي.

Abstract :

It has become necessary to say that technology and technology have secured a prominent place in the contemporary scientific reality, where the influence of its means extended to all areas of daily life, the human being of the twenty-first century a digital entity can not breathe outside this virtual space, and perhaps the most prominent manifestations in the creative Is the emergence of so-called digital literature in its various aspects and manifestations, which has become a parallel technical alternative, has been absorbed and the construction of many perceptions and concepts, intersect with countless scientific and cognitive fields, which were once confined to the real

space (concrete), we hear about digital criticism And slavery culture And digital orientations ... In this sense, we wanted to try to approach digital literature as a problematic issue imposed when compared to traditional litterature. The study will focus on the different communicative media involved in the production of digital literature; Linguistic, typographical, audio, and media medium, and the role of each in the mediological formation of digital litterature.

Keywords:

digital litterature; media; communication; interaction; typography; audio; visual; audio

مقدمة :

إنَّ المتأمل للعقل الإنساني يجده قد مرَّ - في تطوره - بمراحل تواصلية متعددة على حسب مساره التاريخي والحضاري، بدءاً بالعصر الأسطوري؛ الذي كان يتواصل أو يتعامل مع الأشياء ومع مظاهر الكون تواصلاً خرافياً ساذجاً، لا يت肯َّ على أي خلفية علمية أو دينية، ثم العصر اللاهوتي أو الديني؛ حيث أصبح الإنسان محكوماً بمنظومة غيبية، هي من توجه تصوراته وسلوكياته المختلفة، مروراً بعصر التطورات العلمية؛ يقينية كانت أم نسبية، والتي تطغى فيها النزعة العقلية (التعليلية والتجريبية والوضعية)، وانتهاءً بالعصر الذي نعيشه؛ عصر الثورة المعلوماتية أو الرقمية أو التقنية، والتي تغيرت فيها معادلة العملية التواصلية بين الإنسان والإنسان أو الكون إلى التواصل بين الإنسان والآلة، وأصبح الحاسوب هو البديل للثقافة الورقية ووسائلها التقليدية، منذ خمسينيات القرن الماضي، وقد ظهر الأدب الرقي نتاجة لهذا الزخم التقني الرهيب.

وقبل التطرق لبعض المفاهيم والمصطلحات المفصلية المرتبطة رأساً بقضية الأدب الرقي، لابد من تحديد إشكالية واضحة تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، تتمثل في التساؤل عن طبيعة التحولات التي أحدهما التطورات التكنولوجية الحديثة على مفهومِ جديٍّ للأدب، متعلقٍ بوسائلٍ تواصلية موازية، تخرج بثلاثية العملية الإبداعية الكلاسيكية (المؤلف، النص، القارئ) إلى ثلاثة إبداعية أخرى مرتبطة كلها بوصف الطبيعة الرقمية الموجة للعملية الإبداعية ابتداءً وانهاءً، أو بمعنى آخر كيف استطاعت وسائل التواصل التقنية والرقمية الحديثة التعامل مع الأدب، وتطويعه حتى يتماشى مع خصائص الكتابة الرقمية والتلقى الرقمي، وفق الوسائل التواصلية؟ وللإجابة عن هذه



الإشكالية اعتمدت الدراسة على منهجية بحثية وصفية، تستهدف مقاربة الخصائص المكونة للأدب الرقمي في علاقته بالوسائل التواصلية، وكشف ارتباطها البنوية، ولفت النظر إلى أبعادها المختلفة.

تحديد المفاهيم الأولية :

مفهوم الأدب الرقمي : لابد أن نشير بداية إلى أن هذا المصطلح قد طاله ما طال غيره من المصطلحات المعربة، أو **المُشَكَّلة**، من تعدد المصطلحات، وبالتالي تعدد المفاهيم، وإن كانت- في مجدها - لها وشائج متينة بعضها ببعض، فالمطلع على الدراسات التي تناولت الأدب الرقمي يجدها تستعمل للدلالة على المصطلح السابق تسميات من مثل : الأدب التفاعلي، الأدب السمعي والبصري، الأدب الديجيتالي، الأدب الإلكتروني، الأدب الحاسوبي، الأدب اللوغاريتمي، الأدب المترابط والمشعب والفايق والمفرع وغيرها... وهذا ما حدا بالنقدية فاطمة البريكي أن تقدم توصيفا عاما لأهم المصطلحات المستخدمة في الساحة الثقافية العلمية، حيث تناولتها تناولا مفاهيميا، لتظهر أوجه الاختلاف والتباين بينها، وإن كانت تدور جميعها في فلك افتراضي واحد :

أ/ الأدب الرقمي: وهو الأدب الذي يقدم على شاشة الحاسوب، التي تعتمد الصيغة الرقمية الثنائية (0/1) في التعامل مع النصوص أيا كانت طبيعتها، أي أنه ذو طابع لوغاريتمي منطقي يتعامل بنسق عددي ثنائي فقط، فلو غيرنا - ببرنامج معين - ترتيبية الأعداد لنصل معين، لتغير كلها من حيث انتظام الحروف والكلمات والجمل.

ب/ الأدب السمعي والبصري: هو الذي يدعمه مؤلفه بالصوت والصورة والرسوم والحركات: التي تمثل الكلمات، بحيث لا يقرأ النص فقط، وإنما يسمع ويشاهد أيضا، أي أنه يجمع بين ما هو سمعي وما هو بصري في إطار رقمي واحد، يندمجان معا لتحقيق الوظيفة الرقمية.

ج/الأدب التفاعلي :

وهو الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة، ما يتاح تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين التقنية والأدب، ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتى لمتابعيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، وتتحدد صفة التفاعلية فيه على حسب مساحات التلقى

وصوره ومستوياته^(١) ولعل اختيار تسمية الأدب الرقمي هي الأقرب للصواب، بحكم طبيعته ذات المتنز الرياضي واللوغاريتمي المرتبط بالأرقام الثنائية، وهي بهذا لها ارتباط واضح بالوسيل الإعلامي، وإن كانت تسمية التفاعلية لا تقل مقبولة عن تسمية الأدب الرقمي، بحكم التفاعل الداخلي (العلاقة بين الروابط النصية والوسائل التواصلية المختلفة)، والتفاعل الخارجي (أطراف العملية الإبداعية).

من المعلوم أن الوظيفة التواصلية تعدُّ من بين أهم الوظائف الأدبية، بحيث هي الموكِل إليها مهمة الإعلام والإخبار والتَّبْلِيغ، والأدب الرقمي كتجليٍ تقني عالٍ لا يخرج عن هذه الدائرة بوصفه يتَشكَّل ك وسيط تواصلٍ بين المرسل والمُرسَل إليه من جهة، بل ويدخل هو في حد ذاته في العملية الحاسوبية كمعطى متَحولٍ من عالم الورق إلى عالم الشاشة الإلكترونية الآلية الحسابية، ويرجع هذا لما توفره «تكنولوجيا المعلومات من وسائل عدة لاستظهار شبكة العلاقات التي يموج بها النص من علاقات لغوية : نحوية ومنطقية، وإيقاعية وتركيبية، ومعجمية وموضوعية، ومفاهيمية، ومقامية، وزمنية ومكانية »^(٢) أي أن الأدب الرقمي هو شكل أدبي مستحدث جاء نتيجة التطورات التكنولوجية المعاصرة، يستهدف توظيف الإمكانيات المتاحة للحاسوب من خلال فضائه الافتراضي، فهو بهذا المعنى امتداد طبيعي للأدب الكلاسيكي؛ القائم على الشفوية والكتابية، وممكِن بعض المؤثرات الصوتية في الإنشاد خاصة، وهو ينتقل عبر الوسائل الإعلامية التقليدية (الكتب، الجرائد، المجالات، مطبوعات...)

وبعد هذه الإشارات المتعلقة بالجانب المصطلحي، نحاول تقديم تعريف للأدب الرقمي، من خلال المعطيات المفهومية السابقة، ترى فاطمة البريكي أنه « جنس أدبي جديد ظهر على الساحة الأدبية، يقدم أدباً جديداً يجمع بين الأدبية والتكنولوجيا، ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتَّي ملتقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، من خلال الشاشة الزرقاء المتصلة بشبكة الإنترنيت العالمية، ويكتسب هذا النوع من الكتابة الأدبية صفة التفاعلية بناءً على المساحة التي يمنحها للمتلقي، والتي يجب أن تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص »^(٣) في حين يعرِفه سعيد يقطين بأنه « مجموع الإبداعات والأدب من أبرزها التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة ولكنها اتَّخذت مع الحاسوب صوراً جديدة في الإنتاج والتلقي »



⁽⁴⁾ ويعرفه جميل حمداوي بأنه « ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي، الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع، أي يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مؤلف إبداعي »⁽⁵⁾، من التوصيفات السابقة يتبين لنا أن الأدب الرقمي هو شكل من الكتابة الأدبية / الشعرية لا يتجلّى إلا في الوسيط الإلكتروني معتمداً في ذلك على التقنيات التي توفرها التكنولوجيا الحديثة بوسائلها المتعددة، والتي تسهم في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص، وهو يعد آخر ما وصلت إليه العلاقة بين الإبداع الأدبي والوسیط التكنولوجي، هذا من جهة ومن جهة ثانية، أن الوسيط التقني (التكنولوجي) فرض العديد من السبل الممكحة لصياغة جديدة للأفكار (مزج بين الكلمة والعناصر الأخرى)⁽⁶⁾ ، التي تمثل للكاتب والقارئ كيانات افتراضية؛ تظهر وتختفي في لمح البصر، قابلة للتخزين والاستعادة، فهي بهذا المعنى – لا كالأدب الظاهري المكتوب يدويا – تفتقر لعنصر الثبات والاستقرار. فبمجرد انقطاع التيار الكهربائي، يستبدل اليقين النسخي الظاهري بالشك الإلكتروني الرقمي، فهي « بنية غير ثابتة، بل متحركة متغيرة أبدا، دون بداية أو نهاية »⁽⁷⁾

تجمل فاطمة البريكي الصفات التي تميز الأدب الرقمي (أو التفاعلي كما يحلو لها تسميتها) عن نظيرها التقليدي في ما يلي:

1/ أن (الأدب التفاعلي) يقدم نصاً مفتوحاً، نصاً بلا حدود، إذ يمكن أن ينشئ المبدع، أيّاً كان نوع إبداعه، نصاً، ويلقي به في أحد الواقع على الشبكة، ويترك للقراء المستخدمين حرية إكمال النص كما يشاءون..

2/ أن (الأدب التفاعلي) يمنحك المتنقلي أو المستخدم فرصه الإحساس بأنه مالك لكل ما يقدم على الشبكة، أي أنه يُعطي من شأن المتنقلي الذي أهمل لسنين طويلة من قبل النقاد والمهتمين بالنص الأدبي، والذين اهتموا أولاً بالمبدع، ثم بالنص، والتفتوا مؤخراً إلى المتنقلي..

3/ لا يعترف (الأدب التفاعلي) بالمبدع الوحيد للنص، وهذا متربع على جعله جميع المتنقلين والمستخدمين للنص التفاعلي مشاركين فيه، ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي.

4/ البدايات غير محددة في بعض نصوص (الأدب التفاعلي)، إذ يمكن للمتلقي أن يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النص من خلالها، ويكون هذا باختيار المبدع الذي ينشئ النص أولاً، إذ يبني نصه على أساس لا تكون له بداية واحدة، والاختلاف في اختيار البدايات من متلقي لآخر يجب أن يؤدي إلى اختلاف سيرورة الأحداث (في النص الروائي، أو المسرحي، على سبيل المثال) من متلقي لآخر أيضاً، وكذلك فيما يمكن أن يصل إليه كل متلقي من نتائج..

5/ النهايات غير موحدة في معظم نصوص (الأدب التفاعلي)، فتعدد المسارات يعني تعدد الخيارات المتاحة أمام المتلقي/ المستخدم، وهذا يؤدي إلى أن يسير كل منهم في اتجاه يختلف عن الاتجاه الذي يسير فيه الآخر، ويتربّط على ذلك اختلاف المراحل التي سيمر بها كل منهم، مما يعني اختلاف النهايات، أو على الأقل، الظروف المؤدية إلى تلك النهايات وإن تشابهت أو توحدت.

6/ يتبع (الأدب التفاعلي) للمتقنين/ المستخدمين فرصة الحوار العي والمباشر، وذلك من خلال الواقع ذاتها التي تقدم النص التفاعلي، رواية كان، أو قصيدة، أو مسرحية، إذ بإمكان هؤلاء المتلقين/ المستخدمين أن يتناقشوا حول النص، وحول التطورات التي حدثت في قراءة كل منهم له، والتي تختلف غالباً عن قراءة الآخرين.
 7/ أن جميع المزايا تتضاعف لتبع هذه الميزة وهي أن درجة التفاعلية في الأدب التفاعلي، تزيد كثيراً عنها في الأدب التقليدي المقدم على الوسيط الورقي.
 8/ في (الأدب التفاعلي) تتعدد صور التفاعل، بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي/ المستخدم⁽⁸⁾

وفي هذا السياق لا بد من التمييز بين الأدب الرقمي والإلكتروني، وإن كانوا من الناحية اللغوية والإعلامية متقاربين؛ فالأدب الرقمي هو منتج رياضي لوغاريتمي، فهو خاضع - بهذا المعنى - للحوسبة والبرمجة الإعلامية، ذات الهندسة الداخلية للحاسوب أو الهاتف الذكية، في حين أن الأدب الإلكتروني (هي تسمية انتشرت بصفة كبيرة وعلى نطاق واسع في الساحة الإعلامية الفرنسية ما بين 1980 و1990) هو كتابة خارجية مرتبطة بالإنسان كفاعل مباشر، وضاربها أنها يمكن أن تكتب ورقياً كما تكتب رقمياً، فهي بهذا المعنى إنتاج إعلامي خارجي، وفي هذا سياق نستطيع أن « نميز بين القصيدة الرقمية



والقصيدة الإلكترونية، فالأولى خاضعة لبرمجة حاسوبية دقيقة، وهندسة برمجية معقدة وصعبة، في حين ترتبط الثانية بالنشر الإلكتروني السطحي المباشر»⁽⁹⁾

ولا يتم الكلام عن الأدب الرقمي إلا بالإشارة إلى خصائص الوسيط الإعلامي، ولو باختصار، وهي كالتالي :

1/ اللوغاريتمية : يقوم الأدب الرقمي على نسق رياضي منطقي، أي أن المحتوى الرياضي هو المحكم في إنتاج نصوص الأدب الرقمي، في مختلف تجلياته السطحية والعميقة، وهذه اللوغاريتمية هي الموكل إليها نقل المنسج الأدبي من العالم البياني الواقعي إلى العالم الافتراضي الإلكتروني (البصري، السمعي)، فهي حضور معطيات وبيانات الداتا (data)، القائمة على الإزدواج الرقمي (0/1)، ولهذا لا يمكننا فهم الأدب الرقمي إلا في ظل المعطيات الرياضية المتارجحة بين (0) و(1)، ذات الطبيعة الحاسوبية والستينية، بحيث تصبح الأعداد هي من تصنع الأحداث والنصوص والمواقف، فهي على حد تعبير أحد هم معادلة بها «الأصفار تصبح أبطالاً، والأبطال تصبح أصفاراً»⁽¹⁰⁾

2/ التوليدية : وتعني به وقوع الأدب الرقمي في بوتقة الوسائل التواصلية؛ التي يتم بها توليد النصوص أو قل إنتاجها، وهي النص والصوت والصورة، والتي كما كان إنتاجها افتراضياً بحكم الطبيعة الرقمية، فإن تلقها لا يقل افتراضية عن إنشائها أو توليدها، فالأدب بهذا المعنى «عمل غير مغلق، بل نسيج مفتوح من الآثار والتداعيات غير المتجانسة؛ التي تعيد باستمرار عملية صيروتها وتكميلها»⁽¹¹⁾ الأمر الذي ينجرُ عنه تواصل تفاعلي، يظهر في أشكال عدة من ردود الأفعال الإيجابية أو السلبية تجاهه.

3/ التفاعلية : ونقصد به النشاط الرقمي الموازي، المنظم للعلاقة بين المؤلف والقارئ عبر وسیط النص الإعلامي، والملاحظ أن للوسائل المختلفة في تفاعلها هي تشكل انتظاماً بنوياً، تكون فيه هذه الوسائل تداخلاً منضبطاً بين عدة نصوص مكتوبة ومرئية ومسمعة، يسهم في تشكيل نسق من العلاقات الترابطية، هذا من ومن جهة ثانية قابلية النص الإلكتروني لتفاعل آخر يسمح بموجهه للقارئ أو أي وسيط إبداعي أن يشارك في كتابة النص الأمر الذي يطرح مفهوماً حديثاً جديداً هو المؤلف المتعدد أو المتقطعي، بحيث تغدو ملكية القصيدة أو النص الأدبي غير مسجل للشاعر فقط وإنما يشاركه فيه فنانو

اللوحات التشكيلية المرافقية للنص وأصحاب القطع الموسيقية والمبرمج الإلكتروني وغيرهم من له يُدُّ في إنتاج النصوص الرقمية.

٤/ الانشارية والتغذية الراجعة (feedback)

النص الرقمي هو نص يتسم بالتشابك والانتشار، بحكم ارتباطه بالشبكة العنكبوتية، فهو بهذا المعنى حاضر في الآن نفسه في أكثر من جهاز استقبال سواء أكان حاسوباً أو هاتفاً أو غيره، أيضاً قابلية النص الرقمي للفيدباك، حيث إنه يستطيع متصفح النصوص الرقمية أن يرسلها وأن يستقبلها، أو يعود إليها عدة مرات، مضيفاً إليها، أو مصححاً لها...

قراءة في الوسائل التواصلية :

مع ما تطرقنا إليه من تحديدات لمفهوم الأدب الرقمي (*lettérature numérique*) لا يمكن إقامة تصورات واضحة عنه إلا إذا أشرنا إلى معطياته الوسائلية المتعلقة بمراحل تطور الأدب، وهي كالتالي :

١- الوسيط اللغوي:

من المعلوم أن الأدب في صورته الأولى كان يستند إلى الوسيط البصري (اللغوي)، إذ لا يمكن أن نتصور- منذ أن عرف الإنسان حقيقة وقيمة ووظيفة الكلمة - أدباً لا يُبني على مقومات اللغة والبيان، فهو متيسر لكل مالك للغة قادر على توظيفها توظيفاً خاصاً، وهو من الناحية الزمنية قديم يقدم الموهبة الإنسانية، التي تستطيع تطوير اللغة حتى تستوعب نوازع النفس وتقلبات الواقع، ولهذا يعد الوسيط اللغوي هو أول الوسائل وأهمها في تشكيل العمل الأدبي، ومنه الأدب الرقمي.

الوسائط الطباعي :

لأشك أن الطباعة قد ساعدت في الانتقال من الوسيط اللغوي (اليدوي) إلى الوسيط الآلي المنتظم، المحكم بنسق حروفي، بداية في الآلات الراقنة، ثم تطورت إلى الحواسيب والهواتف الذكية... التي ساعدت في الانتقال من الوظيفة الخطية للأدب، التي تخاطب العين، والتي لا تمتاز بنمطية لا تفاجئ القارئ، من خلالها بما يمكن أن يخرق أفق



توقعه، فالقصيدة العمودية تأتي بنظام واحد يعتمد على الشطرين وعلى القافية الموحدة وعلى الإيقاع المتجانس والمتوازي، بحيث يتم إنتاجها « في ترتيب محدد، فيكون للنص بداية ووسط ونهاية، ولا يمكن للقارئ تعديل هذا الترتيب، فعليه أن يبدأ النص من بدايته، وينتهي في النهاية المرسومة له، ويرتبط هذا النص المطبوع بالنصوص الأخرى من خلال الهوامش السفلية، أو الفهارس التي تحيله إلى نص آخر يقرؤه بالطريقة نفسها، فالنص المطبوع إذن تتم كتابته وقراءته على السواء، بطريقة متتابعة أو خطية »⁽¹²⁾ إلى نوع آخر من الأدب، الذي يخاطب العين، لكن بنظام أيقوني مفارق، معتمد على تقنية تبئير الفضاء الظباعي، وتجسيم الكيان اللغوي للأدب كما في القصيدة الكونكريتية (*poésie concrète*)، فهي تكاد تكون ملموسة، لأنها تتعامل مع الخط والرسم والكرافيك والتشكيل والتلوين، بحيث يتقابل فيها عالمان « العالم اللغوي ذو الطابع الإنسادي والإيقاعي، والعالم الكاليفغرافي المشكّل بالحروف المخطوطة والأشكال البصرية المتنوعة ضمن ألوان مختلفة تتجاوز ثنائية البياض والسوداء »⁽¹³⁾، وهذا النوع من الشعر كان له ما يشهده في التراث المغاربي والأندلسي، فيما يخص النصوص الدينية والصوفية، وبخاصة الرمزية الحرفية والعددية، وإن كانت هناك محاولات مبكرة في المشرق ممثلة في رسائل إخوان الصفا، ورسائل ابن مقلة، وفي بعض الكتب الأدبية كأدب الكاتب للصولي وصبح الأعشى للقلقشندي والاقتضاب في شرح أدب الكتاب للسيد البطليوسى، وإن كانت تطرقهم لها هو من باب التزين والتحبير في الخط والكتابة، أما في العصر الحديث فلعل الساحة الإبداعية الغربية قد ساهمت إسهاما كبيرا في تخريج نماذج مميزة من القصائد الكونكريتية، والتي ألفها أصحابها على شكل عناوين قصائدهم، من مثل : قصيدة الحمام وقصيدة النسر وقصيدة برج إيفل لأبولينير.

أما في الساحة الإبداعية العربية فيظهر أن التجربة المغربية رائدة في هذا المجال، وإن كان هناك من سبقها من المشارقة كأدونيس وصادق الصائغ وغيرهما، وفيما يلي قصيدة : ((هذا قبر المرحوم)) للشاعر العراقي صادق الصائغ، التي جسدت قبرا يعلوه الصليب⁽¹⁴⁾ :

حسناً ، فاما الرجل المقتول الفرسن
الخطأ المتفوّل اقول وخفافش الليل
عبادة شيء ، هذا الليل توسل له :
قلت سترجع من جدي المربات
مع الاشباح ورحل عبر المصراه
الى ميناء ، سترجع منه الاقطان
ورقصن شارلستون توسلت
له : ما أنت سوى أنت

وما جدي المقتول سوى ردهة موته مؤسسة تجتمع الأيام به ، تشرب قهوةها
تتعرّف ، تعرف مرسم الاتيكـيت تقول اقدم نفسـي : - داعيك مثـانة خنزـير -
وأنا أعمـدة التـلـفـارـاف - : داعيك حقول الـاقـطـاهـي - : حـسـناً ، وأـنـا كـتبـ نـجـارـسـ
الـسـلـوـدـةـ بـالـاـخـطـاءـ وـاـكـتـبـ شـعـرـاـ شـعـبـياـ لـلـأـطـفالـ وـاـشـيـاءـ شـيـقةـ أـخـرىـ ،ـ لـاـ السـكـوتـ
وـلـاـ (ـكـرـكـةـ)ـ هـذـاـ الـصـمـرـ وـلـاـ كـلـ مـاـ نـاشـفـةـ الـعـالـمـ يـكـتـبـهـ تـعـرـيفـ اـسـمـيـ لـأـنـ فـيـهـ
وـلـأـنـ عـبـامـتـهـ وـطـيـ ،ـ فـرـجـاءـ غـلـوـ جـدـيـ ،ـ غـطـرـهـ فـنـحـ شـاعـ واحدـ :

[دـهـ زـهـ دـهـ زـهـ دـهـ زـهـ دـهـ ٥ـ٩ـ /ـ عـامـةـ]

نـكـونـ الرـأـءـ شـرـيفـةـ هـنـدـمـاـ تـنـامـ

مـعـ زـوـجـهاـ وـمـعـ فـقـطـ .ـ دـعـابـيـ

فـيـ الـهـدـفـ وـفـيـ اـسـلـهـ .ـ لـمـ اـرـبـعـ اـمـرـأـةـ

اـلـاـ وـكـنـتـ مـتـنـزـجاـ Extracted from Grabbed بـهـ فـعـذـنـهـاـ .ـ لـهـ

كـنـتـ عـطـماـ فـيـ الـحـدـدـ الـمـكـرـيـ ،ـ

اـلـاـ رـوـنـ ؟ـ وـتـابـعـاـ فـيـ الـبـلـبـ ،ـ تـابـعـاـ

وـلـاـ اـلـآنـ مـكـلـفـ بـالـتـصـرـيـحـ وـبـانـ أـقـولـ ماـ

أـقـولـ بـعـضـ اـرـادـيـ وـبـدـونـ تـعـذـيبـ [

أـقـولـ لـكـ :ـ كـلـ مـاـ قـلـتـ سـابـقـ

لـلـأـرـانـ ،ـ لـهـ زـوـرـونـيـ وـكـانـ لـصـرـقـ جـالـ

الـفـجـيـعـةـ ،ـ وـقـالـاـ لـدـيـنـاـ شـهـوـدـ وـمـتـمـكـكـاتـ وـإـمـرـأـةـ

الـجـزـالـ وـمـتـنـدـ الـمـكـتـ .ـ وـفـيـ الـلـيـلـ

حـكـتـ وـسـيـدـاـ أـجـبـ الشـارـعـ فـيـ حـكـرـتـيـخـ

وـأـسـأـلـ :ـ اـنـ الـرـاحـيـضـ يـاـ مـدـمـوزـيـلـ ،ـ وـاسـعـ صـرـنـاـ يـقـنـيـ :ـ تـبـولـ

الـحـقـيـقـةـ فـيـ قـوـبـاـ ،ـ تـرـجـيـ فـوـقـ هـشـبـ الـرـاقـ وـلـسـفـ بـالـبـلـيـلـ ،ـ

وـتـسـعـ فـرـقـعـ عـاـيـرـهـ .ـ وـفـيـ الـلـيـلـ كـتـ مـرـبـيـضاـ وـاسـعـ صـوـنـاـ حـزـنـاـ :ـ

وـلـكـنـيـ مـدـمـوزـيـلـ بـرـيـهـ ،ـ اـنـافـتـ بـرـجـواـزـيـهـ ،ـ عـشـرـةـ تـقـبـلـ

الـانـقـامـ عـلـ هـشـةـ ،ـ رـبـاـ ...ـ اـنـفـاـ ...ـ رـبـاـ ...ـ رـبـاـ ...ـ بـقـطـ

فـيـ مـلـاـيـ ،ـ اـجـبـ الشـارـعـ فـيـ حـكـرـتـيـخـ وـادـعـ الـجـيـسـ الـ

الـبـلـطـةـ .ـ رـفـيـ الـلـيـلـ كـتـ وـسـيـدـاـ وـمـتـشـرـاـ كـالـبـانـيـ وـفـوـقـ

الـتـسـوـنـ تـزـفـ اـعـتـارـيـ الـاـخـيـرـ :ـ [ـ وـحـدـهـ الـثـرـةـ الـشـعـرـةـ ،ـ

بـيـنـ الـفـخـادـ شـيـ بـرـيـهـ .ـ وـاطـنـالـهـ وـحـدـمـ اـسـقـانـيـ .ـ]

صادق للصلع (بغداد)



الوسيط الصوتي :

مع تطور وسائل الاتصال الحديثة، أصبح الجانب الصوتي له أهمية كبيرة، وزادت أهميته بوصفه وعاءً للموسيقى والأغاني، ما جعل الإبداع الإلكتروني يستثمره كوسيلة مهم يرافق النص اللغوي المفروء، بحيث يجمع بين المستوى المرئي والمستوى المسموع، ولعل بدايات استغلال الوسيط الصوتي في الغرب كان عن طريق تسجيل الإبداع الأدبي دون الكتابة، كما فعل الشاعر إيسيدور إيسو (Isidore Isou) سنة 1953م، ثم توالت بعد ذلك التسجيلات الصوتية، وأصبحت تسمى القصائد المسموعة، والتي كانت مرتبطة بأجهزة الفيديو والأقراص المدمجة وأجهزة التسجيل الصوتي، وهذه الخطوة هي من فتح الباب أمام النصوص الإلكترونية كي توظف الوسيط الصوتي بالتزامن مع عرض النص المكتوب (الأدب الرقمي).

الوسيط الإعلامي أو الرقمي :

من المعلوم أن الأدب الرقمي قد تدرج من الاستعمال السطحي المباشر، الذي هو في الأساس الصيغة الإلكترونية الرقمية للنصوص الورقية، إلى استخدام تقنيات أو وسائل تواصلية أخرى مرافقة للنص المكتوب كالصوت والصورة، أو هما معا، وفي الوقت نفسه استثمر التقنيات الفنية غير الأدبية كالمونتاج والميكساج والموسيقى التصويرية، بالإضافة إلى استغلال التقنيات الحاسوبية نفسها، المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، وبالعموم أصبح النص الأدبي الرقمي يطرح آليات متعددة لإيصال الرسائل الأدبية المختلفة، وذلك من خلال :

- 1/ اللغة (المفروءة على الشاشة).
- 2 / الموسيقى المسموعة.
- 3/ الصورة المرئية.
- 4/ تقنيات الكترونية متنوعة.
- 5/ ألوان وخلفيات النصوص.

ليصبح بذلك النص الرقمي ليس هو السلسل الجملية المكونة من كلمات وأحرف مرصوصة، بل أصبح في الاستعمال الإلكتروني « ما يتمرأ في صورة كِلِّ مركب من علامات بصرية عرفية مرصوصة، أو مرتبة فوق سطح ذي بعدين؛ صفحة في كتاب، أو ملصق على حائط، أو شاشة حاسوب آلی »⁽¹⁵⁾ فأصبحنا نرى منذ أول نص رقمي عربي – على رأي كثير من الدارسين – ((تباريـخ رقمـية لـسـيرـة بـعـضـهـا أـزـرـق)) لصاحبـه الشاعـر العـراـقي مشـتـاق عـبـاسـ مـعـنـ اختـلاـفـاتـ وـاضـحةـ بـيـنـ النـصـ الـورـقـيـ وـالـنـصـ الرـقـيـ،ـ منـ خـلـالـ اـعـتمـادـ هـذـاـ الأـخـيرـ عـلـىـ الرـوـابـطـ وـالـوـصـلـاتـ وـتـقـنـيـةـ التـفـريـعـ كـنـصـوصـ مـواـزـيـةـ،ـ الـقـيـ تـظـهـرـ عـلـىـ الشـاشـةـ،ـ فـمـثـلاـ نـرـىـ فـيـ جـمـلـتـهـ الشـعـرـيـ (ـأـيـقـنـتـ أـنـ الـحنـظـلـ مـوـتـ يـتـخـمـرـ)ـ حـينـ يـتـحـرـكـ الـمـؤـشـرـ عـلـىـ الـكـلـمـةـ (ـأـيـقـنـتـ)ـ يـظـهـرـ نـصـ مـتـفـرـعـ تـكـوـنـ بـدـايـتـهـ كـلـمـةـ (ـأـيـقـنـتـ)ـ الـتـيـ هـيـ فـيـ الـوقـتـ ذـاـتـهـ جـزـءـ مـنـ الـجـمـلـةـ الشـعـرـيـةـ فـيـ أـعـلـاهـ وـكـذـلـكـ الـأـمـرـ مـعـ (ـأـنـ)ـ وـ(ـالـحنـظـلـ)ـ وـ(ـمـوـتـ)ـ وـ(ـيـتـخـمـرـ)ـ.

إن الأدب الرقمي في اعتماده الوسائل التواصلية المتعددة هو نهاية التطور التقني للأدب الرقمي – على الأقل في الراهن المعيش – ويرجع هذا التوصيف لأنه استطاع أن يركب بين الوسائل التواصلية المختلفة في بوتقة رقمية واحدة، مستلهما هذا التركيب الوسائطي – في الطرح الواقعي غير الافتراضي – من مقوله امتزاج الفنون؛ حيث كثيراً ما نسمع عن موسيقى الشعر، وتلوين الأنغام، وتناغم الألوان، وشعرية الرسم... وغيرها من المصطلحات ذات البعد المجازي / الجمالي، أي أنه فتح المجال لما يسمى بتراث الفنون عبر « الوسائل المتعددة التي تسعى إلى مزج أجناس الفنون، وهو الأمر الذي يبرز الحاجة إلى إزاحة النقاب عن معرفة العلوم المتخصصة، حتى يتنسى القيام بعملية المزج هذه على أسس منهجية واضحة »⁽¹⁶⁾ فالرسم على سبيل المثال بطابعه التشكيلي والأيقوني في حضوره مع النص الرقمي يعزز من الوظيفة الإدھاشية والتأنيرية والجمالية للنص، بل إن تأملاً بسيطاً للتآزر بين الرسم والشعر -على سبيل المثال – تاريخياً يبرز الحميمية بينهما، كيف يستطيع الرسام أن يبدع لوحة من قراءة لقصيدة أو مطالعة لرواية أو ملحمة، كما صنع الفنان الإيطالي (دينو كافالييري) عندما رسم لوحات عديدة من وحي قراءته لللحمة كلكامش وبخاصة في تشخيص صورة البطل الأسطوري، وهو يقاتلأسداً وجاموساً، وأخرى في معركة بمعية أنكيدو ضد الثور الوحشي، وأخرى يرفعأسداً على كتفه إعلاناً



للانصار، وكيف يستطيع الشاعر أن يبدع قصيدة من وحي لوحة لرسام يقرأ فيها ألف رسالة وألف معنى، ولعل أشهر ما نمثل به هو تلقي الشعراء للوحة الموناليزا، واختلافهم في تصوير ملامح الجوكندا الحزينة وابتسامتها الغامضة وجلستها بين الصخور، نذكر منهم (إدوارد دوامدن) (والتر هوراشيو باتر) (مايكل فيلد) (فرشليكي) (مانويل ماتشادو) (هيرمان كلاوديوس)، والأمر نفسه مع الموسيقى؛ حيث ظهر تجسيد شعرى بديع لكثير من المقطوعات والسمfonيات الخالدة لبيتهوفن، كسمفونية القدر، التي تبدأ بضربات طبل متسرعة قوية، تذكّرنا باحتمالية القدر ووجوب وقوعه وعجز الإنسان عن الوقوف أمامه أو تغيير مساره، كما فعل الشاعر الألماني (شيلر).

إن حضور هذه الأجناس والفنون الجميلة في آن معاً يجمع بين النص والرسم والموسيقى والألوان والحركة يضع المتلقى إزاء عملية تلقٍ من نوع خاص، لهذا الكون النصي المتعدد المتشابك، الذي لا يفتقد غير صوت الإنسان..

ولعل علاقة الفنون بعضها ببعض يمكن أن يرجع إلى الاعتبارات التالية:

استضافة عمل في لعمل في آخر.

استلهام عمل في لعمل في آخر.

استيعاب عمل في لعمل في آخر.

. الانصهار الكامل، المتمثل في تكنولوجيا الوسائل المتعددة.

هذا الاعتبار الأخير هو أعقد هذه الأنظمة من حيث استناده على البعد التقني التكنولوجي، القائم على تحويل أسواق الفنون كالمسنونات والمبررات إلى سلسل محاكمة بقيمي الصفر والواحد (1/0)، بحيث أصبح التماهي كلباً بين هذه الوسائل، لا تستطيع أن تفلّ إحداها عن الأخرى، في خضم سبولة رمزية متشابكة، تتضافر جميعها في إعطاء هوية جديدة لطبيعة الأدب في سياقه الرقمي، ما يستدعي ضرورة مواكبة هذا الأدب بتصورات جديدة تأخذ على عاتقها مقاربات نقدية رقمية أيضاً، تأخذ بعين الاعتبار ما تفعله التكنولوجيا الحالية والمستقبلية في النصوص الأدبية الرقمية، من التشعب والتخلص والتسيؤ.

وفي نهاية هذا الطرح النظري لابد من التنويه إلى أن هذا الحقل المعرفي الجديد، ما يزال غضا طريا، لم تكتمل بعد ملامحه، فما زال في محیطه الرقمي الافتراضي يحبو ويتجدد، وهو في هذا يتطور تبعا للتطورات التقنية المتتسارعة، ولهذا نجد أن - من الطبيعي - أن ينشأ في المستقبل أدب يخرج من وحي العوالم التكنولوجية، لا نستطيع في الراهن التقني أن نتنبأ بملامحه وخصائصه.

النتائج :

- ١/ الأدب الرقمي يعد نقلة تكنولوجية جاءت استجابة لحاجة اجتماعية تزيد الجديدة والمتكرر وال سريع.
- ٢/ الأدب الرقمي بدبل طبقي للأدب الورقي (التقليدي) ، جاء نتيجة الثورة التقنية وتطور وسائل الاتصال الحديثة.
- ٣/ الأدب الرقمي ذو طابع لوغاريتمي منطقي يتعامل بنسق عددي ثنائي فقط (٠١).
- ٤/ الأدب الرقمي يحتمم للوسائل التواصلية المختلفة، أي أنه خرج من نسقية التلاقي الكلاسيكي، إلى التلاقي الرقمي؛ بحيث يصبح المؤلف والنص والقارئ كلهم يشتركون في الفضاء الإلكتروني.

توصيات ومقترنات :

وفي نهاية هذه الورقة السريعة يقدم الباحث بعض التساؤلات الملحة، التي لا تستهدف الدراسة الإجابة عنها بقدر التحسيس بأهميتها - كأهداف بحثية مستقبلية أو توصيات مقترنة ينظر القائمون على المجلة في جدواها وما يمكن أن تقدمه للأدب الرقمي في ظل وسائل الإعلام الحديثة - منها :

ما القيمة الجمالية للأدب الرقمي، وهل بإمكانه استقطاب مقرؤية تضاد مقرؤية الأدب التقليدي؟

وهل أنَّ المنجزات الأدبية التقليدية (المطبوعة) ستختفى أم أنها ستشهد تعديلات أم أنَّ



- لها من المَنْعَةِ (السلطة) ما تحفظها من الذوبان في الحداثة التقنية المستقبلية؟
- . أين تكمن وظيفة الأدب الرقي في عصر الثورة المعلوماتية؟
- . ما تأثير المنشورات الأدبية الرقمية على تغيير أنظمة الوعي لدى المتلقى في ظل الصراعات الحضارية والمذهبية التي يعيشها العالم العربي؟
- . ما القضايا التي تثيرها مسألة حقوق المؤلف في عالم الرقمنة الأدبية وما الأطراف المعنية بهذه القضايا؟

ما محل إعراب الدرس اللغوي والحركة النقدية من الأدب الرقي؟ هل بمقدوره أن يواكب الأدب الرقمي مواكبته للأدب الورقي، بمعنى آخر هل نحن بصدد الحديث عن نقد رقمي له أساسه ونظرياته ومصطلحاته ومدارسه في مقابل النقد التقليدي؟

الهوامش:

- ¹ - يُنظر : فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص.11.
- ² - جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)، مؤسسة المثقف العربي
- ³ . almothaqaf.com ط. 01. 2016، ص.13.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 2001، ص.523.
- ⁴ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سبق ذكره، ص.49.
- ⁵ - من النص إلى النص المتراربط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص.10.
- ⁶ - جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)، مرجع سبق ذكره، ص.18.
- ⁷ - VOIR : pierre levy, littérature et cybe culture, paris, allimard, 2008, p06.
- ⁸ - يُنظر: مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سبق ذكره، ص.53.
- ⁹ - جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص.13
- ¹⁰ - الطيب بودربالة : " سيميائية وسائل الإعلام مارشال ماكلووهان – ألموذجا – "، محاضرات الملتقى الوطني الثالث : السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2004، ص.02.
- ¹¹ - ميجان الرويلي وسعد البارعي، دليل الناقد الأدبي (إضافة لاكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصرًا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.03. 2002، ص.270.
- ¹² - هنا جرس: " الهيبرنتكست عصر الكلمة الإلكترونية" ، مجلة العربي، وزارة الإعلام دولة الكويت، ع.544، مارس 2004، ص. 147، 148.

-
- 13 - جميل حمداوي، القصيدة الكونكريتية في الشعر العربي المعاصر (القصيدة المغربية أنموذجاً)، مؤسسة المثقف العربي almothaqaf.com. ط02، 2016. ص 07
- 14 - المرجع نفسه، ص 26.
- 15 - بابيس ديرميترakis: "النص التشععي : ما وراء حدود النص "، النقد الأدبي على مشارف القرن الواحد والعشرين: العولمة والنظرية الأدبية، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، مصر، نوفمبر، 2000. ص 353
- 16 - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سبق ذكره، ص 500، 501.

*** *** ***